بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمـا بعدُ:

فإنَّ الدعوةَ السلفيةَ تتعرضُ في هذه الأيامِ لهجومٍ شرسٍ ماكرٍ من أعداءٍ احترفُوا التلفيقَ والكَذِبَ مهارةً، والتَّهييجَ للفِتَنِ دُربةً، فلقد بلغُوا في تلكُم الدركاتِ مَبلغاً مُدهشاً!

إنَّ المؤمنَ الصادقَ يحبِسُه خوفُهُ من ربِّهِ وخشيتُه لهُ من أن تَفلُت كلمـةٌ يـدفعُها الهـوى وتُوقـدُها العداوةُ؛ فيحسِبُ للقاءِ ربِّهِ حِساباً.

قالَ اللهُ تعـالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة:**281**].

وإِنَّهُ ليضعُ نُصبَ عَينيهِ قولَ ربِّه عزَّ وجَلَّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق:**18**].

وقولَ نبيِّهِ ﷺ «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَتَبَيَّنُ فِيهَـا؛ يَـزِلُّ بِهَـا إِلَى النَّـارِ أَبْعَـدَ مَـا بَـيْنَ المَشْرِـقِ وَالمغْرِبِ».

فكيف تجرؤُ بعضُ القنواتِ الفضائيةِ على الافتراءِ والبغيِ؛ فترمي دعـوةً طيبـةً تسـيرُ عـلى طريـقِ أسلافٍ طيبينَ على مِنهاجَ النبوةِ حذوَ القُذَّة بالقذة؛ بأنها تقتُلُ الشيوخَ وتزعُمُ أن لا فَرْقَ بينها وبـين داعش!!

أفلا يستحي القومُ!؟

ألم يقرأ هؤلاءِ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل:105].

ألم يَقرَؤُوا قولَ ربِّهم جلَّ في عُلاه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾ [الأحزاب:58].

فالدعوةُ السلفيةُ تُعظِّمُ أمرَ الدماءِ المعصومةِ، وتُحذِّر من إِرَاقَتِهَا، دونَ موجبٍ شرعي، فإن كانَ ثمَّةَ مُوجِبٌ شرعيٌّ، فوليُّ أمرَ المسلمين يُقيمُ الحدَّ أو من يَنُوب، لا أن ينطلقَ الأفرادُ يقتلُ بعضهم بعضا، في فوضىً تجلُبُ على المسلمين فساداً وشروراً.

فذا حرَّمَهُ الإسلامُ وقرر أئمةُ السنةِ مَنعَهُ في مُصنفاتهم، فقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل في أصولِ السُّنة في شأن قتال اللصوص والخوارج أنه لا يُجهَزُ عليه إن صُرع أو كان جريحا، وإن أَخَذَهُ أسيراً فليسَ لهُ أن يقتُلَهُ ولا يُقيم عليه الحدَّ، ولكن يرفعُ أمرَهُ إلى من ولاهُ اللهُ فيحكُمُ فيه.

فكيف بمن يقتلُ امرئً مسلماً غيلةً ؟! إنَّ ذا لَجُرمٌ عظيمٌ، قال جل في علاه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾ [النساء:93].

وقال نبيُّنا ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسحةٍ مِن دِينِهِ مَالَمَ يُصِبْ دَماً حَرَاماً».

لقد علِمَتِ الدُّنيا بأسرها أن الدعوةَ السلفيةَ تواجِهُ – بقوةٍ – أفكارَ التكفيرِ والتقتيلِ للمسلمينَ، والترويعَ لأفئدةٍ مُؤمنة، فكانت بأمرِ اللهِ سَداً منيعا أمامَ دُعاةِ الضلالِ من كُتابٍ ومُفكِّرينَ أشعلُوا ديارَ الإسلامِ رمياً بالتكفيرِ، وقضوْا بالردةِ على المسلمينَ، وأراقُوا الدماءَ، وسوَّغُوا الخطفَ والاغتيالات، وحكموا على مجتمعاتِ المسلمينَ بأنها مجتمعات جاهلية، ودفعوا بالشبيبة إلى

الكُهُوفِ والجُحُورِ؛ في عُزلةٍ شُعُوريةٍ تُجافي المَسَاجِدَ وتُعرِضُ عن الجُمَعِ والجَماعَاتِ، وتَصُمُّ عن سماعِ الآذان.

فماذا فعلَ سيّدُ قطبٍ وأشباهُهُ بأولئكَ الشبابِ الذينَ ارتمَوْا في حمأة التكفير، وأذاقوا الأمَّةَ الأمَرّيْنِ، فما بكت عليهم تلكُمُ الأقلامَ وما كانوا مُهتَدِينَ.

فهلاَّ تأملتَ قولَ سيّدُ قطبٍ: "لقدِ استدارَ الزمانُ كهيئتهِ يوم جاءَ هذا الدينُ إلى البشريةِ بلا إلهَ إلا الله، فقد ارتدّتِ البشريةُ إلى عبادةِ العِبادِ وإلى جَوْرِ الأديانِ ونكَصَتِ عن لا إله إلا الله".

وهلّا أمعنتَ النظرَ في قوله: "لا أحدَ يملِكُ أن يزعُمَ أنَّ هذا المجتمعَ المسلمَ قائمٌ موجُودٌ".

وإنَّك لتندهِشُ ويطولُ تعجُّبُكَ إذا ما قرأتَ قولَهُ: "وأخيراً يدخُلُ في إطارِ المجتمعِ الجاهِلِيِّ تلكَ المجتمعاتِ التي تزعُمُ لِنَفْسِهَا أنها مُسلمة! ... وإذا تعيَّنَ هذا؛ فإنَّ موقفَ الإسلامِ من هذه المجتمعاتِ الجاهليةِ كلِّهَا يتحدَّدُ في عبارةٍ واحدةٍ: أنَّهُ يرفُضُ الاعترافَ بإسلاميَّةِ هذِه المجتمعاتِ كلُّهَا".

فما عُذر ذاكَ الذي أرشَدَ شبابَ الإسلامِ المتلَهِّفِ لمعرفةِ الهُدى إلى قراءةِ كتبِ هذا الخارجيِّ، وهي تنضَحُ بالتكفيرِ وتُنَادِي بإراقة دماءِ المسلمينَ المعصومةِ، وكيف سيلقى ربَّهُ!؟

وإذا أردتَ أن تستبينَ حقيقةَ سيِّدِ قطبٍ وكيفَ عَمِلَ على بثِّ فِكرِهِ، فتَوَاصَى وأتباعَهُ بصُنعِ المُتَفَجِّرَاتِ وتدبيرِ الاغتيالاتِ وجَلبِ الأسلحةِ وإعدادِ المواجهاتِ، فدونَكَ الخبرُ بقلَمِهِ لا بأقلامِ أهلِ السُّنَّة.

قال سيّدُ قطبٍ في كتَابِهِ (لماذَا أعدَمُوني): "...فقد أخَذُوا – يعني الإخوانَ – في محـاولاتٍ لصـنعِ بعضِ المتفجراتِ محَلّيّاً وأنَّ التجارُبَ نجحتْ، وصُنِعَت بعـضُ القنابـلِ فِعـلا، لكنهـا بحاجـة إلى التَّحسِينِ! ".

ثم ذَكَرِ خُطّتَهُم بعدُ، فقال: "فهذِهِ الأعمالُ هي رَدٌّ فورَ وُقُوعِ اعتقالاتٍ لأعضاءِ التَّنظيمِ – يعنـي الإخوانَ المسلمينَ – بإزالة رُؤُوسٍ في مُقدِّمَتِهَا: رئيسُ الجمهورية، ورئيسُ الوُزارة، ومدير مكتـبِ المشير، ومُديرُ المخابراتِ، ومُدِيرُ البُولِيسِ الحرْبِيِّ، ثم نسَـفٌ لـبعضِ المنشـآتِ التـي تَشُـلُّ حَرَكَـةَ مُوَاصَـلَاتِ القـاهرَةِ؛ لضـَمانِ عـدمِ تتبُّـعِ بقيـةَ الإخـوان فيهـا وفي خارجهـا؛ كمحَطَّـةِ الكهربـاءِ والكبَارِي".

فأين صِدقُ وأمانةُ تلكُمُ القنواتِ الفضائيةِ التي تَنسِبُ كَذِباً إلى السلفيينَ إراقةَ الـدماءِ، واغتيـالَ الأبرياءِ، وتفجيرَ الأحياءِ، لأجلِ دَمِ امرئٍ مسلمٍ أريقَ بغيرِ حقٍّ، فتَاجرُوا بِدَمِـهِ وانتهـزُوا حَـادِثَ مَصرعِهِ، وليستِ النَّائِحَة الثكلى كالمستأجرة.

فجريمةُ خطفِ الدكتورِ نادرٍ ثُمَّ قَتْلِهِ حَدَثٌ يَتَنَافَى مع مَعَالِمِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ السّلَفِيةِ الطَّيِّبَةِ المُنَزَّهةِ عَنِ الدِّمَاءِ المُحَرمَةِ الصافيةِ مِن كدَرِ فِتنِ الصِّرَاعَاتِ على الحُكمِ، التي جعلتِ الأحزابَ يتَنَاحَرُونَ فِـيمَا بَينَهُم، وقد يَضِيقُ عَطَنُ النزاعِ فيتَطلَّبُونَ فَتَاوَى القَتْلِ لِخُصُومِهِمْ، إنَّ الدَّعْوةَ السَّـلَفِيَّةَ بِمَنـأًى عـن كلِّ هذهِ الصرَاعاتِ.

وإنَّ الناظرَ بإنصافٍ يعلمُ أنَّ الدعوةَ السلفيّةَ لا تُقِرُّ باطلاً ولا تدفَعُ عن مُسيءٍ إِسَاءَتَهُ، بـل تحجُـزُ الظالمَ عن ظُلمِهِ وتلزَمُ العدلَ، قـال الله عـزَّ وجـل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة:8].

وقال سبحانهُ أيضاً: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام:152].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧﴾ [النساء:107].

وقال نبينا ﷺ : «انصُرْ أخَاكَ ظَالماً أو مظلُوماً»، قال رجلٌ: يا رسول الله: أنصُرُه إن كان مظلوماً، أرأيت إن كَانَ ظَالما كيفَ أنصُرُهُ؟، قال: «تحجُزُهُ أو تمنَعُهُ عن ظُلمِهِ، فإنَّ ذَلكَ نَصْرُهُ».

لكنَّكُم قومٌ بُهُت تتخذُونَ مما تتوهَّمُونَه طريقاً للنيلِ من دعوةٍ أَقَضَّتْ مضاجعَكُم، وأعْلَت صِيَاحَكُم، وكشفَت بحقٍّ عن خَبَايا مَسَالِكِكُم، فلا غرْوَ أن تُتاجِرُوا بالدِّمَاءِ، وتَستَدِرُّوا عواطفَ البُسَطاءِ، وتجمَعُوا أمرَكُم وشركائَكُم على اختلاقِ الكذبِ، بل الكذبُ لعله يشكُو صَنيعَكُم!

فالأمرُ كما قال الحافظ علي بن حرب الموصلي : " كلُّ صَاحِبِ هوىً يَكذِبُ ولا يُبَالي".

فهذه مُصنَّفَاتِ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ وكُتُبُ أهلِ العلم تزخرُ بدفعِ ما تفتريهِ ألسُنٌ وقنواتٌ، وتُبَارِكُهُ أفرادٌ وجماعاتٌ؛ مِن أنَّ الدعوةَ السلفيةَ تُجيزُ الخطفَ وتَحمَدُ الاغتيالاتِ، بينَما يتعَامَوْنَ عن كُتُبِ سَيِّدِ قُطبٍ وأتبَاعِهِ، وإِنَّها لتَنضَحُ بالتكفيرِ وتقطُرُ دماً!

ولا أدلَّ على ذلك من شهادةِ القَرَضاوِي إذ قد وضَعَ القَومَ في قُمقُم حينَ قال في كتابِهِ [أولَوِيَّاتِ الحركةِ الإسلامية]: "في هذه المرحلةِ ظهرَت كُتُبُ - الشهيد - سيّدِ قطبٍ التي تُمثّلُ المرحلةَ الأخيرةَ من تفكِيرِهِ والتي تنضحُ بتكفير المجتمع! ".

فماذا بقيَ من ماءِ المُحَيَّا على صفحات وجوهِ هؤلاءِ إذ ينسِبُونَ منهجَ شيخهم سيّدِ قطبٍ إلى الدَّعوةِ السلفيةِ، وقد تيقَّنُوا مُحَارَبتها لهذا الفِكرِ الغالي.

قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام:33].

وصدق الشاعرُ إذ يقولُ:

ودَعِ الكذُوبَ فلا يَكُنَ لكَ صَاحباً   إنَّ الكذُوبَ لَبِئسَ خِلٌّ يُصْحَبُ

أيتُهَا القنواتُ الفضائيةُ ..

ألا تعلمونَ أنَّ الدَّعوةَ السّلفيةَ هيَ الإسلامُ الـذي جَـاءَ بـه محمـدٌ ﷺ وفَهِمَـهُ الصَّـحابَةُ الكِـرامُ والتَّابِعُونَ لهم بإحسانٍ، فمَن رامَ القدحَ فيها والُمحاربةَ لأصُولِهَا والتَّشويهَ لمعالِمِهَا والطعنَ في عُلمَائِها فإنما يُحاربُ دينَ اللهِ الذي تكفل بحفظه، وتوَعَّدَ من اعتَدَى عليهِ بأخذه، قال جـل في عـلاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر:9].

وقال تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٣﴾ [الأنفال:13].

وقال نبيُّنا صَلَى اللهُ عليه وسلم: «لا يزالُ من أُمّتي أُمّةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ لا يَضُرُّهُم من خَذَلُهم وَلَا مَن خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أمرُ اللهِ وهُم على ذلك».

فلسُتم تحاربون حِزباً من الأحزابِ المتناحرةِ، أو تُصـارعُونَ فِكـراً مـن نَتـاجِ أفكـارِ البَشَرـ حتـى تعمَلُوا عَلى التنفيرِ عنه والإزراءِ بِهِ، لستُم تُقاومُون من يتطلّبُ مقاعـدَ في البرلمـانِ، أو يلهـثُ وراءَ سرابِ الحُكمِ، إنَّكُم تُحارُبونَ دعوةً تسيرُ على منهجِ الأنبياءِ، وتقتدي بالصحابةِ الأتقياءِ.

إنها دعوةٌ تُعنَى عنايةً فائقةً بتوحيدِ اللهِ ونبذِ الشركِ بكُلّ صُورَهِ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:36].

وقال جلَّ في عُلاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:116].

لقد بذَلَ طُلابُ العِلمِ السّلفيونَ جُهُوداً عظيمةً في نشرِ التوحيدِ ومُنابَذَةِ الشركِ أَقَضَّت مضاجِعَ أهلِ الباطلِ جميعاً، فكَم قد صَلُحَ من عقائدِ المسلمينَ وأحوالهم، فَسَلِمَ أمرُ دينِهم، وتبصَّرُوا قُبحَ الشركِ وعظيمَ خَطَرِه، فلا عجبَ أن يُقبِلَ أهل الإسلامِ على دعوةٍ كانت سببا في هِدايتهم وانشراحِ صُدُورِهم، إنَّهُ صفاءُ الدعوةِ ونقاؤُها.

أجل، إنَّنا نعلمُ يقيناً الباعثَ لهذِهِ المعركةِ، فعلى الرَّغمِ من الإمكانياتِ العاليةِ والمناصبِ النافذةِ؛ عجزتُم عن إِقناعِ الناسِ أنكُم أَهدى سبيلاً وأقومُ قيلاً.

فهلا أخبرتُمُونا عن طريقِ سيرِ دعوتِكُم؟!

إنَّ المسلمينَ لم يَرَوْا منكم إلا جُهوداً مُضنيةً في الدعوةِ إلى الانتخاباتِ الوافدةِ علينا من بلادِ الكفرِ، ولم يَرَوْا إلا زيفَ تلبيساتِكُم بأنَّ "الديمقراطيةَ من الإسلامِ، ولا فرقَ بينَهَا وبين شورى المسلمين"!؟

لم يعرفِ المسلمونَ عنكُم إلا العَمَلَ لنُصرَةِ أحزَابِكُم، وبثَّ الفُرقَةِ بين أفرادِ المجتمعِ المسلمِ، أمَّا الصِّراعاتُ السياسيةُ فأنتُم من يحمِلُ ألويتَهَا ويقومُ بأعبَائِهَا.

وإذا صَارَ حَديثُنَا عن السُّنةِ المحضةِ، فما أسعدَ أهلَ السُّنّةِ السلفيين بنُصرَتِهَا، والذبِّ عنها، وبيانِ أحوَالِ مُخالفِيها، ومن نَصَبَ العداء لأهلِهَا.

إنَّ هؤلاءِ يُريدُونَ أن يُبيدوا عِلماً شريفاً عظيماً، فاتخذُوا من حادثةِ مقتلِ الدكتورِ نادرٍ العمرانيّ – رحمه الله – طريقاً لتحقيقِ ما يُؤمّلُون.

إن علمَ الجرحِ والتَّعديلِ لن تطاله أمانيُّ الواهمينَ، وأحلامُ المنظرين، فإنه قوامُ الإسلامِ وصمَّامُ أمانِهِ، ولولاه لخطبتِ الزنادقةُ على المنابر.

ولقد عَجِبتُ جداً من قَولِ معتوهٍ: "إنَّ التحذيرَ من أهلِ البدعِ مآله قتلُهُم، والعبرةُ بالمآلات"!!

إنَّ هذا يعترضُ على ما أوجبَهُ اللهُ ورسولُهُ، وأجمعَ أهلُ العِلـمِ عـلى مشروعِيَّتِهِ، وصـاحَ السَّـلفُ بتقرِيرِهِ، وأمْضَـوْا حيَـاتَهُم في نُصرـته، فـما أحـوج هـذا - وأمثالُـهُ - إلى دراسـةِ مـذهبِ السَّـلفِ ومواقفهم دراسةً واعيةً، فلقد كانت مواقفُهُم مع أهل البدعِ والأهواءِ صارمةٌ، جدُّ صارمة.

قالَ أبو داودَ السِّجستَانيّ: "قلتُ لأبي عبدِ الله أحمدَ بنِ حنبلٍ: أرَى رجُلاً من أهلِ السُّنّة مع رجُـلٍ من أهلِ البدعةِ أتركُ كلامه؟ قال: لا، أو تُعلمُهُ أنَّ الرجلَ الذي رأيته معهُ صاحبُ بدعةٍ، فإن تـرك كلامه فكلّمهُ، وإلا فألحقه به".

ولما قَدِمَ سفيانُ الثوريُّ البصرةَ، جعلَ ينظرُ إلى أمـرِ الرَّبيـعِ - يعنـي ابـن صُـبَيحٍ - وقَـدرُهُ عنـد الناسِ، سأل: "أيُّ شيءٍ مَذهَبُه؟" قالوا: "ما مَذهَبُهُ إلا السُّنّة"، قال: "من بطانَتُه؟"، قالوا: "أهـلُ القَدرِ"، قال : "هو قدري".

قال الإمامُ البَغويُّ - رحمهُ الله - : "و قد مَضَتِ الصحابةُ و التـابعونَ و أتبَـاعُهُم و عُلـماءُ السُّـننِ على هذا مُجمعينَ مُتّفِقينَ على مُعاداةِ أهلِ البِدَعِ و مُهاجرتهم". [شرح السنّة للبغوي:1/ 227].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في كلامٍ عظيمٍ له حولَ أهلِ الأهواء: "...إذ تطهيرُ سبيلِ الله ودينِـهِ ومِنهاجِه وشَرعِهِ ودفعُ بغيِ هؤلاءِ وعُدوانِهِم على ذلكَ واجبٌ على الكفايةِ باتفاقِ المسلمينَ، ولولَا من يُقيمُه اللهُ لدفعِ ضرَرِ هؤلاءِ لفسَدِ الدينِ، وكان فَسَـادُهُ أعظـمَ مـن اسـتيلاءِ العَـدُوّ مـن أهـلِ الحربِ، فإنَّ هَؤلاءِ إذا استَوْلَوْا لم يُفسِدُوا القلوبَ وما فِيهَا مِنَ الدِّينِ إلا تَبَعـاً، وأمَّـا أُولئِـكَ فهـم يُفسِدُونَ القُلُوبَ ابتداءً".

فعلمُ الجرحِ والتَّعديلِ علمٌ عظيمٌ، ضَـبَطَ قواعـدَهُ وأحكَـمَ شُرُوطَـهُ أئمـةٌ كبـارٌ تحقَّقُـوا بِـالعلمِ الصَّحيحِ في نقدِهِم للجَمَاعَاتِ والطوائف والأشخاص، واتَّصَفَوْا بالعدلِ في أحكامِهِم مع ما كانوا

عليه من دينٍ متينٍ وورعٍ تامٍّ، فسعُدَ بهم أهلُ الإسلامِ وسُرَّ بجهَادِهِم لأهلِ البِدَعِ كُـلُّ مـن تعـرّفَ مكرَ هولاءِ وتَبَيّنَ خَطرَهُم.

فسبابُ أهلِ البدعِ لأئمةِ الحديثِ والأثرِ قديمٌ، وصراعُهُم لأهلِ السُّنة منذُ أن قيلَ لهم: سَمُّوا لنـا رجالكم، فيُؤخذُ عن صاحبِ سُنةٍ، ويطرَحُ صاحبُ بِدعةٍ.

فكم تضيقُ صُدُورهُم عند أن يسمعُوا أثرَ محمدِ بنِ سيرينَ: "إنَّ هَذَا العِلْمَ دِيـنٌ، فـانظُرُوا عَمَّـن تأخُذُونَ دينكُم"، وكم يطرُبُ به أهل ُالسُّنّةِ فيُحفِّظُونه أبنائَهُم.

ألم يُرمُوا أهلَ السُّنةِ بالألقابِ البَشِعَةِ المنفّرةِ؟

فهمُ القائلونَ عنهُم: حشويّةٌ ومجسّمةٌ، وهم القائلونَ عنهم: مُشبّهةٌ ونوابتٌ، وهـم القائلونَ عنهم غُثَاءٌ وَزَوامِلُ للأخبارِ.

فلا عجبَ – اليومَ – أن تجدَ من القومِ ما هو أقبحُ وأبشعُ، فــ «لَيسَ زَمَانٌ يَـأْتِي إِلَّا والـذِي بعـده شرٌّ منه».

ففي زماننا رمَوْا علماءَ السُّنّةِ بأنهم عملاءُ وجواسيسُ، ونبزُوهُم بالرجعيةِ وأنهم محنّطون ولا فقـهَ عندَهم، بل بالعلمنة يتّصفُونَ!

ونعَقُوا في قنواتهم بوصفِ أهلِ السُّنّة السَّلفيينَ بأنّهم وهابيّونَ، نسبةً إلى العلامةِ السَّلفيّ: محمدِ بن عبدِ الوهّابِ التميميّ النجديّ – رحمه الله –.

وبوصفهم بأنهم ألبانيّون، نسبةً إلى العلامةِ السَّلفي المحدّث: محمد ناصر الـدين الألبـاني – رحمـه الله –.

وبوصفهم بأنهم جاميّون، نسبةً إلى العلامةِ السَّلفي: محمد بن علي الجامي – رحمه الله –.

واليومَ يزدادُ بغيُهم مع العلامة المحدّث الأستاذ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي – أيّدهُ الله – فيَصفُون في قنواتهم أهلَ السنّة السلفيينَ بأنهم مَدَاخِلَة!

فلتتحققْ أيُّها الموفقُ بأنَّ كلَّ من وقفَ من علماءِ السُّنّةِ أمامَ أهوائِهم وبِدَعِهم وضلالهم بالعلمِ الصَّحيحِ من كتابِ اللهِ وسُنّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ؛ وكشفَ عن بَاطِلِهم بالحجَجِ الوَاضِحاتِ والبراهينِ السَّاطعاتِ؛ نسبوا أهلَ السُّنةِ إليه، ونفَّرُوا عنه. ولعلّ سؤالا يقفزُ إلى ذهنِك المتوقِّد، لم يفعلونَ هذا؟

فجوابُه: إنهم يَطمعُونَ أن يبلُغُوا بِحَربِهم لعلماءِ المنهجِ السلفيّ أن تُشوّهَ الدعوةُ السلفيّةُ بأنها تَؤُولُ إلى الشيخِ فُلان، وما هؤلاءِ السَّلفيُون إلا مُتعصبةٌ مقلّدةٌ لشيُوخِهم، حيثُما وُجّهوا توجّهُوا وانقادُوا وأذعنُوا!!

فما أفجرَ خصومةَ هؤلاءِ، وما أحطَّ أخلاقَهُم، وإنّهم لكاذبُونَ.

إذ علماءُ السنّةِ أهلُ اتّباعٍ صادقٍ، يُعظّمونَ كتابَ ربّهم وسنّةَ نبيّهم، فلا يحتجُّونَ إلا بما جاء عن الله عز وجل، وبما صَحّ عن نبيّهِ ﷺ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف:3]، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:7].

ويذمُّون التقليدَ المقيتَ والتعصبَ الذميمَ، كما قد ذمّهُ ربُّنا جل وعلا في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة:104]، ويُربُّون طلابهم على تعظيم الحقّ كما قال مالكُ بنُ أنسٍ – إمامُ دارِ الهجرةِ – : "كلُّ يؤخذُ من قوله ويُردُّ إلاَّ صاحبَ هذا القبرِ".

فمتى ألزَمَ الشيخُ ربيعٌ المدخليّ – أو غيره من أشياخ السنّةِ – أحداً بقولِهِ وأوقفَهُ عنـدَ رأيـه، فـإنّ المتبع لكُتُب الشيخ ورُدُودِهِ ومحاضراته يقنعُ بعظيمِ عِنايتِهِ بـالحجج والبراهـين، وأمَانَتِـهِ في النقـلِ عمّن رام أن يردّ عليه من كُتُبه ومحاضراته.

فإذا ما أنصفَ المرءُ وتجرّد للحقِّ فإنه يصدعُ به وينقاد إليه، ويُسلّمُ لُمكنـةِ الشـيخِ العلميـةِ وعمـقِ بصيرتهِ.

إنّ الشيخَ لَمِن أعظَمِ العُلماء تنفيرا عن التقليدِ وبغضا للتعصُّبِ، لكنّ فرى القومِ الواهيةِ لا حُدُود لها.

فالمعظّمُ للحق المتجردُ له لا يترددُ في قبوله ممن جاء به، لكنّ صاحبَ الهوَى يُعمّى عَنهُ ولا ينفذُ إلى قلبِهِ، فلا يجدُ حيلةً في دفِعِهِ إلا أن يُشهرَ داءهُ ويُظهرَ علّته بقوله: "إنني لا أُقلّد"، في هَوسٍ يخلطُ فيه بين اتباعِ الدليلِ والتقليدِ العارِي عن الحجّة.

إنني أدعوك أيها المحبُّ أن تطّلعَ على ثناءِ أساطينِ العِلمِ وأئمةَ الفتوى في هَذا الزمانِ عـلى الشـيخ العلامة: ربيعِ بن هادي المدخلي – سلّمهُ الله –؛ لتعلمَ رُتبته في العلمِ ومنزلَتَهُ في الفضلِ، ولتتعـرّفَ كم أوغلَ القومُ في عِرضِ هذا العَلَم، فما اهتزّت له قناةٌ، ولا سقطت له رايةٌ.

فلَعلّك أدركتَ – الآنَ – لم يُحاربَ الألبانيُّ وابنُ بازٍ وابنُ عثيمينَ وربيعُ المدخليُّ وغيرهم من أئمة السنّةِ، كما قد حُوربَ أسلافُهم من الأئمةِ، ولقد ذُكر في ترجمةِ أحمد بن حنبلٍ أنهُ إذا ذكرَ أهلُ السّنّةِ ما له من الفضائلِ العظيمةِ أخرجَ الحسَدَ أقوامٌ إلى أن قالُوا عن الإمام أحمد: "إنَّهُ نبيُّهم". [سير أعلام النبلاء 11/ 305].

واليومَ يفترونَ الكذبَ عن العلامةِ ربيع بأنه معصومٌ في المنهجِ، ولكلِّ قومٍ وارثٌ!

فيا أهلَ السُّنةِ الثّباتَ الثّباتَ، فالقومُ ضَاقُوا بِكُم وبِدعوَتكُم ذرعاً، وأفلَسُوا من الحُجَجِ وتيقّنوا مقْتَ الناسِ لهم، بل صَارَ بعضُهُم يَتَوارَى مما عُرِفَ به من الحزبيةِ المقيتةِ.

فما تراه اليومَ صياحٌ جاوزَ الألمَ.

فلا يُزعِجَنَّكَ ضجيجُ قنواتِهم، فالدعوةُ السّلفيّةُ لم تُبقِ لهم قِنَاعاً يتستَّرُون به.

لقد تَهاوت كُلُّ مخططاتِهم للنيلِ من هذه الدعوةِ الطيبةِ، حتى جاء خبرُ مقتلِ نادرٍ العمرانيّ – رحمه الله – كالغَنِيمَةِ البَارِدَةِ، فأظهَرُوا الحُزْنَ والأَسَى، وإنهم بما تَاجَرُوا به من دَمِهِ لفَرِحُونَ!

فتدبّر – أخي – قولَ الله عز وجل: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران: **120**].

فعندَهَا ستعلمُ أنَّ كيدَهُم سحابةُ صيفٍ عما قليلٍ تقشَّعُ.

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشعراء: **227**].

وَصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على نبيّنَا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه / أبو مُصعبٍ مجدِي بن مِيلُود حفّالة

ليلةَ السبت 02 ربيع الأول 1438 هـ الموافق 2016/12/03

طرابلس – ليبيا